عناية المسلمين بنقد الأسانيد والرواة

مبحث فى دراسات فى علوم السنة

**إعداد / محمد كمال الإمام زميتر**

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

mohamed.zemater@mediu.ws

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى عناية المسلمين بتقد الأسانيد و الرواة
الكلمات المفتاحية – المسلمون ، الفقه ، الاصول**

**المقدمة.I**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة عناية المسلمين بتقد الأسانيد و الرواة**

 **.عنوان المقال II**

**قد عُني العلماء المسلمون ولا سيما علماء الحديث والفقه والأصول بعلم الإسناد ونقد الرواة عناية فائقة؛ إذ به يُعرف التمييز بين الصحيح والحسن والضعيف من المرويات، والمقبول من المردود منها، وذلك لمّا رأوا الله ورسوله يحضّان على التثبت في المرويات، وأنه لا يُقبَل إلا خبر العدل الضابط، ففي الكتاب الكريم.**

**فقد دلّ ما ذكرنا من الآي أنّ خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العدل مردودة، والخبر وإن فارق معناه الشهادة في بعض الوجوه، فقد يجتمعان في أعظم معانيها؛ إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم، كما أنّ شهادته مردودة عند جميعهم، ودلّت السنة على نفي رواية المنكَر من الأخبار؛ كنحو دلالة القرآن على نفي خبر الفاسق، وهو الحديث المشهور عن رسول الله : ((من حدّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين))، فهذا الحديث رواه الإمام مسلم في مقدمة (الجامع الصحيح) له، وقد دلّ الحديث على أنه إن عَلِمَ كذب حديث أو غَلَبَ على ظنِّه ذلك أيّ راوٍ؛ حرُم عليه روايته دون بيان وضعه، وبيان أنه مكذوب على رسول الله .**

**وروي في الصحيحين عن غير واحد من الصحابة يبلغون السبعين أو يزيدون على ذلك، أنّ رسول الله قال: ((إن كذبًا عليّ ليس ككذبٍ على أحد، فمن كذَبَ علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)) وفي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- مرفوعًا: ((كفى بالمرء كذبًا أن يُحدِّث بكل ما سمع)).**

**وكذلك ورد عن النبي وعن الصحابة و التابعين، ومن جاء بعدهم النهي عن الكذّابين والضعفاء والمجروحين والمجهولين، والتحرِّي في الرواية، ففي (صحيح مسلم) عن النبي أنه قال: ((يكون في آخر الزمان دجَّالون كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم)).**

**وروى بسنده عن مجاهد قال: جاء بُشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يُحدِّث ويقول: قال رسول الله فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه، فقال يا ابن عباس: ما لي لا أراك تسمع لحديثي، أحدّثك عن رسول الله ولا تسمع، فقال ابن عباس: "إنا كنّا مرة إذا سمعنا رجلًا يقول: قال رسول الله ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلمّا ركب الناس الصعب والذلول -يعني: كناية عن عدم اهتمامهم بصدقهم أو كذبهم- لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف. وفي رواية طاوس للقصة: فلمّا ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنهم.**

**وروى بسنده -يعني: الإمام مسلم- عن محمد بن سيرين قال: "إنّ هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم"، يعني: إنّ الأخبار التي تصلكم إنما هي متعلَّقة بدينكم، فإذا كانت صادقة فقد أخذتم بالعروة الوثقى من دينكم، وإن لم تكن صادقة فقد أخذتم بالزيف في أمور دينكم، فانظروا وتمحَّصوا فيمن ينقل لكم هذه الأخبار وهذه الروايات، هل هي جديرة بالأخذ بها؛ لأنها أخذٌ بدين الله سبحانه وتعالى، أو ليست جديرة بذلك فلا تأخذونها.**

**وعنه أيضًا عن ابن سيرين قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد -يعني: يُفتّشون فيه- ويطلبونه لمن يروي أو ينسب شيئًا إلى رسول الله فلمّا وقعت الفتنة -يعني: بين الصحابة- في عهد علي -رضي الله تعالى عنه- ومن بعده، وأصبح الميدان فيه من يُبالون من الرواة ومن لا يُبالون، وفيه من يقودون نار الفتنة، ويكيدون لدين الله ، ويكذبون على رسول الله لمّا وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم -يعني: سموا لنا من أخذتم من هذه الأحاديث، أو هذه الروايات، فينَظَر إلى أهل السنة -يعني: إذا كان هؤلاء الرجال الذين نقلوا السنة من أهل السنة المتمسكين بدين الله بما فيه من التحرّج والصدق، فيُنظر إلى أهل السنة، فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع، الذين هم مظنّة الكذب والخداع، فلا يؤخذ حديثهم.**

**وروى -أي: الإمام مسلم- بسنده عن عبد الله بن المبارك قال: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" يعني: وصُدِّق؛ لأنه ليس هناك وسيلة وليس هناك معيار لصدق الحديث وكذبه، إلّا بإسناده؛ ليُنظر -كما قال ابن سيرين- إلى أهل السنة من غيرهم، فيوثَق بالخبر أو لا يوثق به، فإذا لم تكن هذه الوسيلة موجودة، فلا يستطاع التمييز بين الصدق والكذب، فيُؤخذ هذا وذاك على أنّه دين، "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء".**

**ورُوي عنه أيضًا -ابن المبارك- أنه كان يقول: "بيننا وبين القوم القوائم" يعني: الإسناد الذي يوصّل إلى الحديث، وبيننا وبينهم هذا الإسناد، هل هو صحيح فيؤخَذ بما يقولون ويروون، أو ليس صحيحًا فلا يؤخذ بما يقولون.**

**وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقاني قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن، الحديث الذي جاء: إن من البر أن تصلي لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صومك. قال: فقال عبد الله: يا أبا إسحاق، عمّن هذا؟ قلت له: هذا من حديث شهاب بن فراس، قال: ثقة، عمّن؟ -يعني: شهاب بن فراس ثقة، لكن مِمّن أخذه؟- قال: قلت: عن الحجاج بن دينار، قال: ثقة، -يعني: الحجاج بن دينار ثقة، ولكن عمّن أخذ هذا الحديث؟- قال: عمّن؟ قال: قلت: قال رسول الله . قال: يا أبا إسحاق، إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي مفاوز -صحراوات- تتقطّع فيه أعناق المُطيّ، ولكن ليس في الصدقة اختلاف.**

**يعني: الحجاج بن دينار وهو ثقة ليس من الصحابة الذين أخذوا مباشرة عن رسول الله وبالتالي فهناك انقطاع بين الحجاج وبين رسول الله هذا الانقطاع كبيرٌ. يعني: يحتمل اثنين أو ثلاثة بينه وبين رسول الله ولا ندري فيما عدا الصحابي، إذا كان الصحابي قد روى هذا الحديث، لا ندري هل هؤلاء الذين أخذ منهم الحجاج بن دينار هم ثقات، فيُطمَئَنّ إلى الحديث، أو ليسو بثقات فلا يطمئن إلى الحديث.**

**يعني: بين الحجاج بن دينار وبين رسول الله مسافة كبيرة، وفجوة كبيرة، كالمسافة الكبيرة التي في الصحراء، والتي تحتاج إلى أن تسير فيها المطي سيرًا كبيرًا يهلكها من طولها، ولكن ليس في الصدقة اختلاف، يعني: العلماء اتفقوا على أن الصدقة عن الأبوين أو عن الميت ليس فيها اختلاف، لكننا لا نأخذ بهذا الحديث؛ لأنه منقطع، ذلك لأنّ الحجّاج بن دينار هذا من تابعي التابعين، فأقلّ ما يمكن أن يكون بينه وبين النبي اثنان: التابعي والصحابي، فلذلك قال: هذا، وهذا لون من ألوان النقد الأصيل النزيه. طبعًا الصحابي أو الصحابة عدول، ولا يفتَش عنهم، حتى إنه يقبل الخبر الذي فيه صحابي مبهم، لكن من قَبْل الصحابي قد يكون تابعي أو تابعي، وتابع التابعي أخذ عنه الحجاج.**

**وروى مسلم بسنده عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان -فقيه أهل المدينة- قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال: ليس من أهله" يعني: ليسو من أهل الضبط والتحرّي في رواية الحديث، على الرغم من أمانتهم وصلاحهم.**

**وقال سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن" يعني: يدافع به عن نفسه الدخيل الذي يساق إليه من الروايات التي ليست من الدين، فيدافع بهذا الإسناد عن دينه، عندما لا يكون هذا الإسناد مستقيمًا فيدفعه، أو بثقات فيأخذه.**

**وقال الإمام الشافعي: "مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كحاطب ليل" يعني: حاطب الليل الذي يجمع الحطب بالليل، قد يأخذ ما يضره أو يهلكه دون أن يدري، فقد يجمع من الحطب ما يكون فيه أفعى أو غير ذلك مما يضره وهو لا يدري، فيهلك، على عكس من يأخذ في ضوء النهار، وبالنسبة للرواية في ضوء الإسناد، هل هو إسناد مضيء فيأخذ به، أو هو إسناد مظلم كما يعبر بعض المحدثين النقاد فلا يأخذ به.**

**إلى غير ذلك من النصوص الدالة على العناية بالأسانيد ونقد الرواة، وتشريحهم تشريحًا علميًّا دقيقًا، ولولا هذا لوجد الزنادقة وأعداء الإسلام الفرصة سانحة للإفساد في الدين، والاختلاق في الأحاديث، من غير أن يجدوا من يكشف عن زيفهم وكذبهم، ويرَدُّ عليهم كيدهم.**

**وعلى هذا، فالإسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الإسلامية، كما قلنا: الرواية كانت قبل الإسلام في الأمم السابقة، لكننا نعني بالرواية هنا: التي هي من خصائص الأمة الإسلامية، الرواية الصحيحة المتصلة برجال ثقات عدول ضابطين، فلا عجب، وقد سمعنا كثيرًا عن خصيصة الرواية في الإسلام، أن يكون الإسناد الصحيح المتصل من خصائص الأمة الإسلامية.**

**وإليكم كلام رجل عارف بالملل والنحل وتاريخ المذاهب الإسلامية، وهو الإمام أبو محمد علي بن حزم، قال في كتابه "الفصل في الملل والنحل" وهو كتاب مطبوع، ما خلاصته: "نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي مع الاتصال، خصّ الله به المسلمين دون سائر الأمم، وأمّا مع الإرسال -يعني: الانقطاع- والإعضال -الانقطاع الشديد- بأن يكون هناك انقطاع برجل أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر، فيوجد في كثير من اليهود، ولكنهم لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أزيد من ثلاثين عصرًا، في أزيد من ألف وخمسمائة عام، وإنما يبلغون بالنقل إلى شمعون ونحوه -هذا الذي بينه وبين موسى أكثر من ألف وخمسمائة عام.**

**وأمّا النصارى فليس عندهم من صفة هذا النّقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط، على أنّ مخرجه من كذَّاب قد ثبت كذبه، وأمّا النقل بالطريق المشتملة على كذّاب أو مجهول، فلا يمكن اليهود أن يصلوا إلى صاحب نبي أصلًا، حتى ولو كان هذا النقل فيه من الكذابين والمجهولين، ولا إلى تابع له -للصحابي، ولا يمكن للنصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولس. وقال أبو علي الجيّاني: "خصّ الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يُعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب في اللغة".**

**المراجع والمصادر**

1. **محمد بن محمد أبو شهبه ، (الوسيط في علوم ومصطلح الحديث) ، طبعة عالم المعرفة، جدة 1983م.**
2. **عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ، (مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح) ، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.**
3. **نخبة من الباحثين ، (موسوعة علوم الحديث الشريف) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر 2003م.**
4. **الجزائري، طاهر بن صالح الجزائري ، (توجيه النظر إلى أصول الأثر) ، عناية: عبد الفتاح أبو غدة، دار المعرفة، بيروت 1972م.**
5. **الصالح، صبحي الصالح ، (علوم الحديث ومصطلحه) ، دار العلم للملايين 1969م..**
6. **النهانوي، ظفر أحمد النهانوي ، (قواعد في علوم الحديث) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية 1984م.**
7. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته) ، مكتبة الخانجي – القاهرة 1981م.**
8. **الطحان، محمود الطحان ، (أصول التخريج و دراسة الأسانيد) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض 1996م.**
9. **البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، (الرحلة في طلب الحديث) ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت 1975م.**
10. **الخطيب، محمد عجاج الخطيب ، (السنة قبل التدوين) ، دار الفكر 1971م.**
11. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (المدخل إلى منهاج المحدثين) دار السلام – القاهرة 2001م.**
12. **رفعت فوزي عبد المطلب ، ( ابن أبي حاتم الرازي وأثره في علوم الحديث) ، مكتبة الخانجي - القاهرة 1994م.**
13. **الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) ، دار إحياء التراث العربي 1945م.**